

يَوْمًا وَاحِدًا فَحَسِبْ

مُتَرْجِمَةٌ عَنِ الرَّبِّيَّةِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الْلطِيفِ الْخِشْمَدِ

تبرئين نفسك من الكذب بإسترسالك فيه
— ماذا مما قلته كذب ؟ !

— هل نسيت يا عزيزتي أنك كنت
قصصت على حادثة الخاتم الضائع قبل الآن
بجدة عن هذا التزويق المسرحي ؟
وهنا تتخاذل ناهد قليلاً وتجاوب

زوجها في إخلاص :

— أقسم لك أن الحادثة كما قصصتها عليك ،
وإن كنت حين سردها مرة أخرى قد اختلفت
شيئاً يسيراً فذاك مالا أرى منه بداً . وهل يستطيع
سردها دون تحويرها ؟

— نعم يستطيع

— وهل يمكن التحدث بمحدث دون أن يتخلله

كذب مطلقاً ؟

— نعم يمكن

— لا يمكن

— إنه يمكن من غير شك

وكذلك يتجمع الخلاف بين هذين الزوجين
ويدور الجدل حول هذا المحور وحده ، فينكر كل
منهما على صاحبه رأيه كلما بدرت بادرة . وبينما هما
في نقاشهما — ذات يوم — اقترحت السيدة ناهد
على زوجها المحتدم في إثبات رأيه هذا الاقتراح :

— إني أتعهد لك بأنني لن أكذب بعد اليوم ،
ولكن وقائي بهذا العهد مرتبط بقبولك لما أشرطه
عليك ، وذلك أن تأخذ على نفسك ألا تكذب يوماً
واحداً مهما تكن الظروف

— أجل ، لك ما اشترطت

— على ألا تكذب فيه ولو اقتضته منك الجمالة
وتطلبه الأدب ، وألحت به عليك الدواعي القاصرة

كان الوفاق التام سائداً بين « مرمد بك »
وبين زوجته السيدة « ناهد » ؛ وكانت حياتهما
صفواً كلها إذا استثنينا أمراً واحداً كان لا يروق
السيد في زوجه المربزة طالما حدثته نفسه باعترافها
فيه وبحملها على الكف عنه ، ألا وهو الكذب !!
إذ أن السيدة ناهد كانت ككثير من بنات جنسها
لا ترى بداً من تجسيم الحقائق وتوشيتها كما يشاء
خيالها ، وإذا ما أنصفناها أمكننا القول بأنها لم تكن
مفرقة فيه ، بل كانت طبيعتها تجنح بها إلى القليل
منه ، ونعني أن كذبها لم يكن منطوياً على مضرة ؛
أما زوجها فقد كان على العكس منها لا يرضى في
أمر من أموره أن يتخلله نصيب من هذا الخيال .
فهو يسره جد السرور أن تسرد الوقائع وتذكر
الأشياء كما هي ، ولكن هذا لم يكن ليحمله يوماً
على تعنيف زوجه ، بل كان يكتفي — إذا ضاق به
صدره — أن يقول لها :

— ناهد ، أرجو ألا تكذبي وأنت عالة مقدار
بغضى لهذه الطريقة الكريهة عندي

فتأخذ ناهد في الدفاع عن نفسها حينئذ في لهجة
محتدمة ، غير أن الطبيعة الغلابية تسلك بها سبيل
الكذب فتتظلم أفانين منه مثبتة أنها ليست بكاذبة ،
فيمجج زوجها ويجن جنونه صائحاً :

ها هو ذا !! ما زلت تكذبين . ومن العجب أنك
ترجت هذه الأنصوفة عن الكاتب التركي أرجند أكرم

نسى الرجل حديثه مع زوجته وفرغت ذاكرته من كل ما دار بينهما

غربت شمس يوم الثلاثاء وأقبل مساء اليوم التالي يحمل لسرمد بك ثمن غفلته ، ولم يكن المسكين يدري أن اليوم الموعود هو يوم الأربعاء ذو التاريخ القديم .

في مساء ذلك اليوم كان « نرى بك » أحد أصدقائه الأقربين قد دعاه إلى طعام المشاء ؛ وكان نرى بك تاجر تبغ قد أحب فتاة تدعى « شكوفة » تشتغل عنده في محل تجارته على الآلة الكاتبة ، ولم يلبث حتى أخذ لنفسه منها خلية ، وما كان إلا أن نما الحب بينهما واشتد حتى أثمر رأياً جديداً في نفس نرى بك وهو أن يتخذ شكوفة زوجاً له

راقت له هذه الفكرة وأخذ الحب يزداد بين الحبيبين حتى زالت الكافة وامحت دواعي التكلف وبانت نفس شكوفة وانكشفت عما كانت تنطوى عليه من نقص في التربية وقلة في الدوق ، وبدا منها ما يتنافى مع أصول العشرة ، وتضاد أمامه رأيه في الزواج بشكوفة ولم يمد في نفسه شيء من ذلك . وكان من جراء ما استقر عليه فكره أخيراً أن

تجافيا ثم افتراقا . انقضت أيام وقد ضرب المهجر بينهما حجابيه وأخذ يشغل كاهل الفتاة حتى نأت به وضعت عن احتمالها بما أصابها من الضجر وذات من المرارة ، فرجعت إلى خليلها مستسلمة خاضعة غير مشترطة عليه شرطاً ولا متخذة عنده عهداً .

وكانت هذه المصالحة سبباً في إقامة اللأدية التي دعى إليها سرمد بك إذ كان على علم بتفاصيل روايتها . ولذا كان نرى بك شديد الإلحاح في دعوته لسرمد إذ قال له :

— لك ما شئت

— وألا تحاول تحويل الحديث ، ولا الطفرة من موضوع إلى ما لا علاقة به ، وألا تنصل بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه

— ليكن لك ما أردت

— ولا تكون في ذلك اليوم صادقاً لي فحسب

بل للناس جميعاً !!

— سأكون كذلك



— حسن جداً ، وإذن سأعرض أما عن الكذب أو أكبح نفسي عن الأخذ به مهما تكن الحال ، واقتضت الظروف . غير أنني أطلب منك أن تخولني حق تعيين هذا اليوم وسيكون في أسبوعنا هذا إن شاء الله !

أدت بسرمد بك عزيمته أن يقبل كل اقتراحات زوجته غافلاً عن تدبر منبها وتبين حقيقتها ، وراح يقسم بضميره ويحلف بشرفه أن سير بوعده ويوفى بمعهده ، غير أنه لم يمض يومان على أثر ذلك حتى

قليلا في مسائه . وفي صباح هذا اليوم على إثر شربه
الشاي نهض وليس ثيابه ، وما كاد يتناول عصاه
وقبعته حتى وقفت له السيدة ناهد بالباب تقول :
— أريد منك اليوم أن تبر بوعده الذي
وعدتني به .

فلم يفهم — لهذه المفاجأة — ما تريد ، ولذا سألمها :
— وما هو هذا الوعد ؟
— وعدك الذي قطعته على نفسك ألا تكذب
قط في يوم قد خولتني حق تمييزه
فأجابها وقد اعتراه شيء من الارتباك :
— أجل ، سأفعل
— ستأخر الليلة قليلا . أليس كذلك ؟
— بلى

— هل ذلك لأن لك في السكتب من الأعمال
ما يشغلك ويحول بينك وبين المبادرة ؟
ابتلع ريقه ثم قال :
— لا ، بل لأن نرى دعائي للعشاء
— هل ستتمشيان أنما الاثنين فحسب ؟
ابتلع ريقه مرة أخرى وكأنه مقبل على مورد
الموت الأحمر

— ستكون شكوفة أيضا معنا
وكانت السيدة ناهد تعرف شيئا من علاقة
شكوفة بهي لأن زوجها كان أنبأها بخبرها ، إلا أنه
غير لها الأمر وصور تلك العلاقة في صورة مشروعة
وأن نرى يرغب في الزواج من شكوفة . ثم لم يلبث
أن أخبرها بمدول نرى عن الزواج بها بعد أن
شاهد فيها من الطيش والنزق ما جعله يزد فيها
ويرغب عنها

— أما شك الله أن تجيء . واذكر أن شكوفة
تطلب حضورك حتما وقد أخبرتني أنها ربما لا تحضر
بمفردها .

— من سيكون هنالك إذا ؟ ؟
— قد ذكرت أن لها صديقة بهية الطلعة رائمة
الجمال ستجيء بها إن هي تمكنت من إقناعها . وكان
سرمد بك قد استشعر غمزا في كلام صاحبه فلم يجد
بدأ من معارضته بقوله :

— يا عزيزي إنكما ستحتاجان وتمرحان في صفو
هواكما ولا أحب في وجودي معكما تمكيرا لهذا
الصفو . فأجابه نرى بك في مزاح يشوبه بعض الجد :
— أرجو ألا تكلف نفسك مشقة الدائرة
وأن تعفيها من هذه المألجة فإن شكوفة قد حدثتني
بكل شيء وأنتك — قبل الذي كان بيني وبينها —
كنت تغازلها وتطير حولها كالفراس — ومن يدري
لعل الهوى قد جمع بك في هذا المصهار أكثر مما
علمت .

— لقد أشفقت أن يجمع بي الهوى فجمع بك
الظن إلى حد القمة ، وكان الأولى أن تسمو بمحدثك
وظنك عن الاسفاف يانرى .

— إن أقصى ما كان بيني وبينها أنني قبلتها
وربت على خدها أو عبت بشعرها . كان سرمد بك —
بدواعي أعماله — يتأخر أحيانا عند العودة مساء إلى
بيته ، وكانت زوجته قد ألفت منه هذه الحال منذ
سنتين فلا تجد نفسها في حاجة إلى سؤاله عن السبب ،
ولا يجد هو داعيا لتعليل تأخره ؛ غير أنه كان يكتفي
بإخبارها قبل هذا لئلا تنتظره في طعام العشاء .
وكذلك أخبرها قبل يوم الأربعاء بمزمه على التأخر

— وهل اصطالحا ؟

— نعم

وكان يحدق في الباب عساه يصادف فيه فرجة
يستطيع أن يتسلل منها .

— روبدك لا تستعجل . فان أسئلتى لم تنفك
هل شكوفة هذه كانت خطيبة انرى ؟

— لا ...

— فاذا كانت له إذن ؟

وهنا ثارت ثائرة سرمد :

— إعلمى أنه ليس لنا أن نسر أسرار الناس

ولا سببا إذا كانت من هذا النوع الذى تفوسين فيه

— لا تنس أنك وعدتني وعدا وفى بأنك

لا تكذب مهما تكن الظروف أو تقض المجاملة

والأدب أو تلج عليك الدواعى ، وأنتك إذا ما سئلت

عن أمر لا تخفى ماتلمه عنه ، وأنتك لا تحاول تحوير

الحديث أو الطفرة فيه أو الانتقال منه أو التنصل

بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه . واذكر

أنك أقسمت بضميرك وشرفك على الوفاء بكل هذا ،

فأنت اليوم رهينة الوعد فلا حول لك ولا قوة .

وهنا شعر سرمد بك بمق الهوة التى هبط

إليها وأسقط في يده فراغته نكبته ، وباعدت ما بينه

وبين اطمئنائه محنته .

— هلا قلت ماذا كانت له إذن ؟

— كانت خليلته !

— من ذا الذى أغراها حتى زلت قدمها ؟

— أف ! دعيني أذهب .

— إذا كان يرضيك أن تذهب وأنت مسلوب

الضمير موسوم بمدم الشرف فاذهب ...

— حذار يا ماهد ...

— ألم تكن لك بهذه البنت علاقة ؟

— كان هناك شيء قليل فى الأيام الخالية !

وبعد ما أخذ نرى يتجيب إليها كفت عنها ولم
بعد الآن يبنى وبينها علاقة ما .

— إلى أى مدى بلغت رابطتكما ؟

— أما شك الله أن تكفى لأن ذلك يؤخرنى

عن عملى .

— بربك قل الحق . هل أنت ترتبك لأنك

قد تتأخر عن عملك ؟

— لا ، بل لأن أسئلتك تضجرنى !

— إذن ، قل لى وحدثنى حتى تنتهى إلى أى

مدى بلغت معها ؟

ثنى جيده وقد تعبت نفسه واستولى عليه الملل

ولكنه استمسك وقال :

— كنت أعبت بشمرها وأعانقها وأقبلها ،

هذا كل ما هنالك .

وكان حينئذ قد وضع قبعته على رأسه ومد يده

إلى مزلاج الباب ولم يكذب بجره حتى قبضت زوجته

على معصمه ، وراحتاها تلتهبان كالنار وأظافرها

المرهفة تكاد تحترق عروقه وهى تقول :

— لى سؤال أيضا . هل تجيء هنالك امرأة

أخرى عدا شكوفة هذا المساء

— لا أعلم . ولكن على ما قيل لى ربما تجيء !

— ولما تجيء هذه ؟

— لا علم لى بهذا . وربما كانت من أجلى

ولكن أقسم لك أن ...

— لا أرى ضرورة لليمين إذ قد سبق وأقسمت .
على أني مؤمنة بكل ما تقول لعلني أنك رجل أخو
ضمير وذو شرف !



— والآن من يعلم ماذا يساورك من الظنون ؟
إن هذه الأمور مع كونها عادية قد أحدثت فيك
من الانفعال مالا أستطيع تكييفه ...
قاطمته زوجه قائلة :

— حسبك ! .. حسبك ! .. لقد بلغت غاية
تستطيع معها أن تذهب !

خرج سرمد بك وكان مثله حينئذ كمثل من
نجا من تشكيل محاكم الارهاب في القرون الوسطى
وقد وصل إلى الشارع وهو لا يدري ماذا كان يريد
أن يعمل ، ثم بدا له أن يركب الترام . ولم يكذب
لا انتظاره حتى تأبط ذراعه أحد أصدقائه القدماء
يسأله :

— كيف أنت يا عزيزي سرمد ؟

— لست طيباً !!

— لا بأس عليك ؟ هل أنت مريض ؟؟

— لا ...

— إذن ، ماذا بك ؟

— تملكيني الهواجس
— وهل هذا من شئون الأسرة ؟
— نعم ، ولكن أرجوك ألا تسألني سؤالاً
آخر وأن تتركني أذهب لشأن
— أستودعك الله

ترك صاحبه ، وصاحبه ينظر إليه من خلفه
وقد تملكه العجب وهو يسائل نفسه :

— ما باله قد تغيرت أخلاقه وتغيرت حاله !!
إنه قد أصبح وحشاً !! وأيما وقاحة !!

لم يكذب سرمد بك ينزل من الترام حتى واجهه
خاله الهرم ، وقد فاض قلب الشيخ شوقاً إلى ابن
أخته فلما فاه بحنان عظيم وأخذ يسأله في لهف :

— أهذا أنت يا سرمد ؟؟ كيف حالك يا بني ؟
لماذا لم تجيئوا لزيارتنا ؟؟

— لا أعلم !! وها أنت ذا ترى أننا لم نجى !!
— وهل هناك ما يحول بينك وبين هذا يا بني ؟
— لا

دهش الشيخ :

— أقول لا ؟ كيف ؟ كأنه لم يستفزك الشوق
إلى رؤية خالك أيضاً ؟؟

رفع سرمد حاجبه وهو يقول :

— لم يستفزني الشوق !

بهت الرجل وقال « وهو بصرخ من فرط
غضبه » :

— يا وحق ، يا عديم الأدب . ألم تستح حين
تقول هذا الكلام الرذل الثقيل مواجهاً به خالك
الشيخ ؟

وكان الرجل آتئذ ينبش الأرض بعصاه وهو
يبتعد غاضباً مرتمساً

جري سرمد في طلب خاله وهو يحاول الاستغفار — عندي
 بما بدر منه بقوله : — وهل بكم حاجة إلى هذا الباغ مدة يومين
 — لا تأخذني يا خالي ، لقد حملني على ما رأيت أو ثلاثة أيام ؟
 أنني أقسمت ألا أقول إلا صدقا ! — لا
 فوق هذا الكلام من نفس الرجل موقع الخطب — شكراً . إنني سأعيده على أثر اليوم الثالث
 من النار وكان في نظره على حد المثل القائل : « عذر أظن أنك تقرضني خمسين جنهما ؟ أليس كذلك ؟
 أقبح من ذنب » — كلا ، أبداً !!
 ولما لم يكده سرمد يتم اعتذاره حتى دار الرجل — لماذا ؟ (وكان هذا الاستفهام بصوت يشبه
 بنظره حوله وهو يشير إليه : الصراخ)

— إنني لست مطهراً إلى أنك تعيد هذا الباغ أجاهه صاحبه بصوت أشد من سابقه وقد غلبه الغضب وتغلصه السخط :



أنظروا إلي عديم الأدب . هذا مازال يؤكد لي وقاحته ويزعم أنه كان يصدق في حديثه .. لا تنقرع بعد هذا اليوم بابي ولا أريد منك أن تحضر جنازتي

— يا عزيزي ، إنك تستطيع ألا تقرضني ولك ذلك ، ولكن ليس لك أن تمتدي على كرامتي وتهينني على غرار ما يفعل السفلة ومن لا أخلاق لهم — معذرة . إنني أخذت اليوم على نفسي ألا أكذب فلذلك ...

ومضى الشيخ لا يلوي على شيء وصل سرمد إلى مكتبه وقد مسه نصب ناء باحتماله فأرهمقه إرهاقاً ولم يكده بنفس الصمداء حتى سمع دق التليفون

أقفل التليفون وبمد قليل دخل الكاتب على سرمد بك في حجرته قائلاً :

— ألو ... ألو ...

— سرمد بك ؟؟

— جاء التمهيد ياسيدي البك فهل تأذن لي أن أماطله ؟

— نعم . فمن أنت ؟؟

— أنا (ناجي) بحثت عنكم بضع مرات فلم أجدهم . اسمع ... لي عندكم رجاء خاص

— كيف ؟

— تفضل وقل

— أقول له إنكم ذهبتم إلى أنقرة .

— هل لديكم خمسون جنهما ؟؟

— لا يجوز اليوم أن تكذب .

— أى زوجتى العزيزة ، لقد بان لى بجلاء
لا يقبل الشك أن الحق كان بجانبك وأنه يتمذر كل
التمذر بل يستحيل على الانسان أن يتم أسراً
خطيراً كان أو حقيراً دون أن يشوبه الكذب .
لا الصداقة ، ولا مصالح الأسرة ، حتى ولا العشرة
ولا التجارة ، يمكن الانسان أن ينجح فيها دون أن
يفتقر إلى الكذب ! !

هأنذا أعدك ألا أعترض عليك فيما أنت منه
بسبيل ، وأسألك أن تصفح عني ، ومع ما تعلمين
مما طبعت عليه من حب الصدق فلك منى أن تضمي
عن نفسك ذلك القيد وتكذبي ماشئت أن تكذبي !
عبد اللطيف أحمد

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة الغرب جزءان (مختارات من صفوة
الأدب الفرنسى والانكليزى والألماني
والإيطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات
في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى
والحيوان وبه روايتان تمثيلتان)
١٨ نباتات الزينة العشبية (على باحدى وتسمين
صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس
الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جيم المكتاب الفهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

— إذن يجب أن يسطى مبلغه المطلوب في حين
أنا لم نملك منه شيئاً
— قل له ليس عندنا اليوم من النقد ما نستطيع
معه تسديد ما علينا .
— مهلا ياسيدى البك ، ماذا تقول ؟ إن هذا
يرج مركزنا رجا ويحدث في السوق المالى تأثيراً سيئاً
— ما الحيلة إذن ؟ إننا لا نستطيع اليوم أن
نكذب

لم يكذ الكاتب بخطا للخروج وهو يفكر
فيما أصاب البك اليوم حتى ناداه من ورائه ثم قال له :
— إستمع إلى ... إن أعصابى اليوم متوترة
جدا ولهذا أرانى شديد الحاجة إلى تهدئة النفس
وتسكينها . فن جاء يسأل عني فقل له : إني لست هنا .
— أمرك يا بك ! ...

— انتظر لا يناسب أن نقول ليس هنا خوف
أن أكون كاذباً ، قل له إنه لا يقابل أحداً
ولكنه استشعر خشونة هذا القول لأنه ليس
من اللائق أن يجيب زائر بهذا الجواب ، فسأل
الكاتب وقد ملكه الاضطراب واستولى عليه اليأس :
— ماذا يجب عمله الآن ؟ إن ... جزاها الله
شر الجزاء

أتى الأوراق التى بيديه على الأرض وهو خارج
وقد خطف باحداها تبتمته وبالأخرى عصاه ، ولم
يلبث أن طفر من الغرفة إلى الخارج

كان المساء ، وإذا امرمد بك يتم بصوت خافت
مضمض وهو جاث على ركبتيه مطرق الرأس أمام
زوجه يقول :